صدق او لا تصدق !

المجموعة القصصية الرابعة

زكـــريا الشافعى

اهـــــداء

الى كل هؤلاء الذين يمثلون فى حياتنا قصة وعبرة ..
اولئك الذين يصنعون البسمة ويجعلون الحياة شيئا يستحق ان نحياه .

المجموعة القصصية الرابعة

المحتوى :

١-... و رباع
٢-نصيب
٣-كوما
٤- فرق سرعات
٥-صنايعى محتوى !
٦-زواج ابى
٧-ذبابة كاتب
٨-طقت فى دماغى
٩ – قصة قصيرة جدا
١٠ – كذبه بيضاء
١١- صدق اولا تصدق

صدر للكاتب :

المجموعة القصصية الاولى " معناة الكلام "

المجموعة القصصية الثانية " الرجل الذى مات "

المجموعة القصصية الثالثة " ياااراجل "

" دنيا " رواية الجزء الاول

" دنيا " رواية الجزء الثانى

" الثور والطحين" قصة

و رباع . قصة قصيره

كانت جدتى تقول بلهجتها الصعيدية التى لم تفلح المدينة فى تغييرها تماما " جوز الاثنين ياما قادر (وطبعا القاف جيم) ياأما فاجر " .وقد كان فى بعض جيراننا من كان متزوجا باثنتين وكان فى بعض اقاربنا كذلك لكن ماكان يجمع هؤلاء جميعا انهم لا كانوا " اما الاولى .." ولا "اما الثانية ."

الا ذلك الفريد عصره الوحيد زمانه القادر بزيادة ، الفاجر حد الريادة.

عشنا وادركنا اليوم الذى رأينا فيه صديقنا (م .ج) وقد جمع فى ذمته اربع نساء.

كان كأنه يجيب عن كل تلك الاسئلة التى دارت بذهنى بل ببعضها الذى ترددت ان اسأله..

وبدأ يحكى " مقادير ياأخى مقادير ".كانت تلك كلمته المشهورة

قال ياصديقى انا قلبى يسع نساء العالم .قول " موهبه ،كفاءة ، ابتلاء "اللى يعجبك وقرقع ضاحكا هكذا كعادته فنادرا ماكنا نراه لايضحك . ام محمد دى مراتى الاولانية دى الوتد وعمود الخيمة دى البيت الاولانى دى العيلة والاقارب والعزوة والنسب .اى نعم هيه جوازة تقليدية زى مابتقولوا بس انا كنت محتاج الجوازة دى لان انا راجل تقليدى ،عائلى، بيتوتى

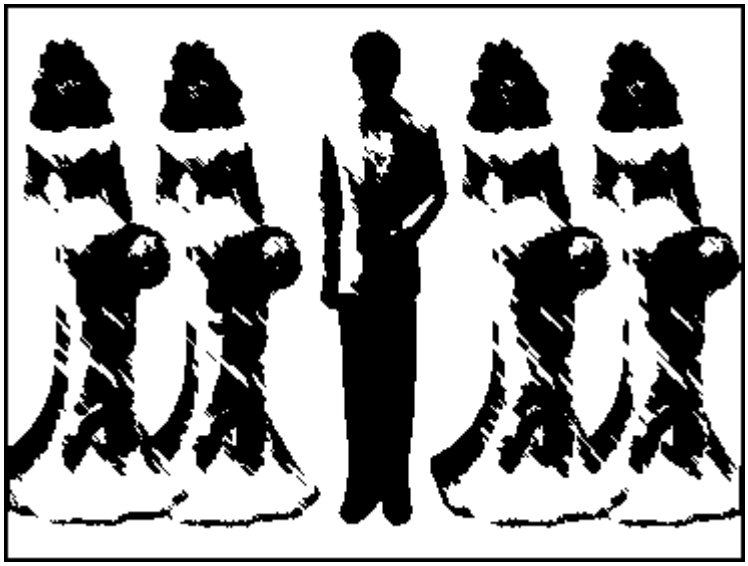

. عيلتى هى حياتى وسندى. البيت الذى يربطنى باهلى لحمى ودمى فمازلت رجلا ريفيا يحن الى الدار والبلد ..ام محمد امرأة تختزن بداخلها كل موروثات هذه الطاعة المطلقة من المرأة لرجلها. فانا اول رجل فى حياتها .حين تزوجتها كانت طفلة بمقاييسكم ياأهل المدينة .كان وجود مثلها فى حياتى وبيت عائلة كبير سببا فى نجاح تجارتى وعملى.

حتى التقيت ب "سعيدة " كانت امرأة قد ورثت عن زوجها تجارة كبيرة وجمعتنا الاقدار كنت اقول فى نفسى ضاحكا كيف يموت هذا الغبى ويترك حتتة القشدة دى كانت جميلة حقا لكن جمالها لم يكن شيئا امام عزيمتها وقوة شخصيتها اعجبتنى حين وجدتها امرأة تنافس الرجال فى السوق وتناطحهم .كانت فرسة جموح مالها خيال .التقينا وتعارفنا حين جمعتنا المواقف الصعبة وكبوة فى سوق وتجارة لاتخلو من طعن ومنافسة غير شريفة ..يقولون ان المصائب يجمعن المصابينا .نعم قربتنا المحنة .صارت المحنة منحة.

وحين وقفت على قدميها ثانية كانت القلوب قد التقت وتعانقت وادركت المهرة انه ان الاوان لها ولبناتها الصغيرات ان تحيا فى كنف رجل ..... حينها كنت قد اشتريت هذا المحل الصغير فى نفس الشارع فى الوكالة واختلط زيتنا بدقيقنا فتزوجنا ..فاصبح القرب قربين
وهكذا اصبح لى دار اخرى وزوجة ثانية...
ومابين بلدتنا الصغيرة والقاهرة الكبيرة عشت صاحب بيتين وزوج لامرأتين تعلم الثانية ان لى زوجة اولى ولاتعلم الاولى ان لى زوجة ثانية!.
وفى القاهرة ايضا التقيت الحاج عبد الستار كان رجلا يمت بصلة ما الى بلدتنا رجل مبارك صاحب فضل واحسان يقضى يومه بين خدمة اهل الحى وبين مجلسه فى مسجد السيده زينب وزاوية فى الحى القديم يعلم الناس القرآن والتلاوه. كنت لاافوت زيارته طالما كنت فى القاهرة.
افتقدته ذات جمعة فسألت عنه فقيل لى من احد المقربين منه انه مريض واجتهدت حتى عرفت بيته فزرته ..
كانت تلك الهالة من نور تشع من وجهه وابتسامة الرضا لاتفارقه ..تكلمنا قليلا وكثيرا ضاحكته ومازحنى فقد كان يعلم انى متزوج باثنين ... ثم لمحت فى طرف عينية دمعة تترقرق ومسحة حزن دفين كست وجهه ولحظة صمت قطعت حديثنا .. ثم اسر لى بصوت خفيض مايعتمل فى صدر رجل قارب السبعين وفى بيته ابنة يكاد يفوتها قطار الزواج .كانت هى تلك المنتقبة التى فتحت لى الباب عند وصولى !.
عدت الى دارى ولم يغمض لى جفن ليلتها .وماكدت انهى بعض اعمالى بعد ذلك بيوم واحد حتى زرته ثانية كنت فرحا حين وجدته جالسا على سريره وقد تحسن حاله.
وقد غادره للتو بضع من مريدية كبار السن .فى ذلك اليوم عرفت اسم ابنته حين نادى عليها كان اسما جميلا ماتصورت ان يكون اسمها هكذا " لجين " .فى ذلك اليوم عرفت منه ان له ابنة اخرى تعمل طبيبة وتعيش فى السعودية مع زوجها المهندس الذى يعمل فى الحرم .كان الرجل لايفوت حج العام فقد كانت تأتية الدعوة كل عام من ابنته وزوجها..
كانت لجين تصحبة فى سفره عند اختها طالما لم يكن ذلك يشغلها عن دراستها الجامعية..
فى ذلك اليوم مازحنى الشيخ وضحكنا بحديث شيق فيه نصح وعظة . ثم نادى على ابنته لتسوى لنا قهوة فكان اجمل واحسن ماشربت..
ودار حوار قصير سريع بيننا اصابت فيه هذه العيون خلف النقاب منى مقتلا ..فلم اجدنى الا وقد مر اسبوع واحد وانا افاتح الرجل فى امر زواجى منها...
قرار قد يلزم غيرى سنوات ليتخذه .. لكن المقادير لم تمهلنى الا ايام فقد مرض الرجل ثانية.
وادركت ان علي واجب ومسئولية نحو كل هؤلاء :الرجل ، وابنته ، وقلبى الذى يتسع لها وحياتى التى شغلت حيزا فيها .. كلهم يدينوننى بشىء.

ترك الرجل الامر لابنته بعد ان عرفها كل شىء عنى . هل ستقبل بزوج الاثنين ذلك الذى يمازح ابيها ويضاحكه كأنما صديقان من زمن الصبا .. رجل ريفى يضع قدما فى قريته وقدما فى القاهرة وفكرت هى طويلا حتى اعياها الفكر وقلبت كل شىء فى عقلها ثم فاجأتنى ذات يوم فى محل العطارة وعادت بعدها لتبلغ ابيها بالموافقة !..

كانت هذه زيجتى الثالثة .حين كشفت زوجتى عن نقابها يوم الخطبة وقع قلبى فى صدرى .. كانت جميلة فوق ماكنت اتصور كجوهرة لم تغادر قطيفتها الا الان...

الغريب ان زوجتى فى البلد عرفت بأمر زيجتى الثالثة ولم تعرف بالثانية بعد .اكتفت يومها بان اعطتنى ظهرها ولم تحادثنى الا حين جاء موعد سفرى للقاهره يومها فقط شربنا الشاى سويا.

كانت دار لجين هى دار ابيها فلم ارد ان اوجع الرجل الحبيب الى قلبى فى ابنته التى هى كل مابقى له .كنت فى سعادة مابعدها سعادة. الحبيبة بنت الحبيب فى بيت فيه السكينة والبركة وراحة النفس بيت يتردد بين جنباته الذكر والتسبيح.

كنت بعدها فى حاجة الى اكثر من اللباقة والفطنة والدهاء لكى ابلغ زوجتى الثانية باننى تزوجت .. وحدث .. ومرت كخماسين الصيف وموسم حرق قش الارز ! مرت ثقيلة لكنها مرت .. مرت لان كان الكثير الذى كان يجمعنا يزيد كثيرا على مايفرقنا .. وكان الرجوع يوم عيد..

ثلاثة كنت اتردد بين هذه وتلك كنحل العسل يختلف الى الرحيق .ثلاثة ملأن قلبى وزاحمن بعضهن فيه حتى اوسعنه حبا وشغفا ورغبة !!!

حملت ابنه الشيخ وبينما هى فى شهرها السابع حملت الثانية ايضا !! وافاض الله على برزق وفير وخير جزيل فشاركت فى تجارة اخرى لم اكن اعرف عنها الكثير وجازفت مع شريك كانت صنعته وصنعة عائلته فتضاعف مكسبنا .. كان رزق العيال .. اومال مش ربنا بيقول " نحن نرزقهم واياكم " . راح الشيخ يبتسم وقد كنا نتعشى سويا حينها وهو يشرح لى الفرق بين الايتين " نحن نرزقهم واياكم " و " نحن نرزقكم واياهم.. "

واسرعت الايام خطاها و.....

كان القهوجى قد جاء ليغير له حجر الشيشة الذى استهلكته الحكاية .. فامسك عن الكلام وتعلقت عيوننا به وبالرجل الذى انحنى بحجر المعسل وجمرة كبيرة متقدة وضعها ففاحت من جديد رائحة المعسل بالتفاح.

حدجنا الفتى بعينيه وقد اقلقه صمتنا !

-اجيبلكم حاجة تاتى يا فندية !

ايوه هاتلنا طقم زبادى خلاط بالعسل .. قالها وهو ينفث اول دخان الحجر الجديد.

كنا فى انتظار ان يبدأ حديثه مرة ثانية..

صب مابقى من كوب القهوة فى جوفه مرة واحدة . واجال النظر حوله فى الجالسين حولنا فى ذلك المقهى العريق ثم ثبت عينيه على امرأة اربعينيه تجلس فى طرف المقهى مع رجل كبير يحمل عصا فى يده.

- ها !!..

- ايه !؟

- ماتكمل .

-اكمل ايه !؟

- الرابعه.

- اه .. لا شوفوا الرابعة دى حكاية لوحدها وانا شايف ان الوقت اتأخر ..ياااه دى الساعة ١١ .

امسك بتليفونه المحمول ..وبعد قليل كنا نستمع اليه وهو يقرقع ضاحكا كعادته ..وهو يحادث من عرفنا انها زوجته الرابعة التى ربما تكون سامية اوسحر او سهير لانه كان يناديها بسوسو.

-لا ياسوسو ..انا جاى حالا اهوه مش حتأخر اتا باخلص شوية شغل!!..

زكريا الشافعى

يونيه ٢٠٢٤

.

نصيب _ قصة قصيره

كان ذلك هو المنديل الورقى الثالث الذى تخرجه من حقيبتها الكبيرة لتجفف به دموع انهمرت فى بكاء صامت وهى تقص على قصتها .. كانت تلك هى المرة الاولى التى ارى فيها دموع هذه المرأة الحديدية ..نعم هكذا كانت . .كانت هى من يدير ذلك المصنع الصغير عند اطراف المدينة فى "ابيس" وكانت هى من تتواصل مع زبائنها وتتابع منفذ البيع فى بضع مناطق داخل المدينة المزدحمة .وكانت هى من تتابع دراسة ابنائها الثلاثة وتعرف موعد اختبارات الكبير والصغير وموعد دروسهم ومدارسهم واحتياجاتهم وهى من تعد الطعام لامها التى انتقلت لتعيش معها بعد وفاة ابيها .امراة تجاوزت السبعين قعيدة لاتحسن شيئا بعد ان بدأت تعانى من ضعف الذاكرة.

وكان هو رجلها وحب عمرها .كان كل الرجال بالنسبة لها فماعاشته فى بيت زوجها ورجلها اكثر مما عاشته فى بيت ابيها .كانت ابنه ثمانية عشرة عاما حين تزوجت من " عارف . " كان وسيما انيقا تحسدها النساء عليه . كان ذكيا عاقلا رزينا لكنه كان سىء الحظ قليل الحيلة ضعيفا .. راحت مشاريعه الصغيرة تفشل الواحدة تلو الاخرى. ولولا تلك الوظيفة الحكومية التى اصبحت بالكاد تصلب عوده لانهار تماما. كان شىء ما فى كل مرة ناقص. شىء لايمتلكه " العزيمة . الاصرار .المثابرة " شىء كانت تملك هى منه الكثير .كانت هى على النقيض منه كلما وضعت هدفا حققته ووثبت الى التالى .. وفى غضون اعوام كانت قد انتقلت بالاسرة جميعها الى شقة فسيحة فى مكان ارحب وارقى .وبدأ دبيب الخلافات يتسلل الى البيت وراح كل منهما يكتشف عيوب الاخر التى افرزها الوضع الجديد .تكاد هى تقيم هذا البيت بمفردها ويكاد هو يفارقهم ببعده ومشاريعه المتردية الباهتة . يغار من نجاحها ومن تليفونها الذى لاينقطع رنينه فى حديث مع العملاء رجالا ونساءا .يغار من اشراقة جمالها ، من ثيابها الجديدة ، من لمعة وجهها وتألقها ،من رسمة حاجبيها،من كتلة الذهب فى السلسلة التى تتدلى على صدرها . لهيب تحت الرماد شبت نيرانه ذات يوم .. اتهمها ، اهانها ، فكالت له حتى لم تبق على شىء ..! احرقت بنار غضبتها كل حبل ولم تخمد الا فى محكمة منحتها الطلاق ومنحته الفراق..

وكان قد اسرع الى زواج ولم يكد يمر عام .علمت انه تزوج باحدى زميلاته فى العمل .تألمت وبكت اشياءا كثيرة . لم يكن هو من بين مابكت .بكت على زهرة عمر وسعادة لم تذق منها الاالنذر . اغلقت عليها باب حجرتها كل مساء لتبكى كل شىء بدموع لايراها احد ولاحتى

ابنائها . لأول مرة تشعر بثقل الحمل على اكتافها . هو ذاته الحمل الذى كانت تحمله فلماذا صار ثقيلا تئن تحته الان !

كانت لتوها قد تخطت الاربعين جميلة الروح زهرة تزين الاماكن مبتسمة قوية العزيمة ..لكنها اصبحت اكثر صمتا وهدوءا من ذى قبل ..وكأن حياتها قد توقفت عند هذا التاريخ وتلك اللحظة التى خرج الرجل من حياتها ولم يعد يعنى لها شيئا .ماقسى الطلاق على المرأة حتى وان سعت اليه هى ! .اى حياة جديدة تلك التى تأمل فيها بعد ذلك . تعرف ان عليها ان تقف امام تحديات اكثر ربما اكثر من كل مامر بها من عملها ومن كل بداية كان قلبها ينخلع خوفا من الفشل .عاندت كل من تحداها ، كل من اثناها عن الطلاق ولم يوافقها من اول غضبة ابيها ومن مقاطعة اخيها، من حزن ومرض امها ، من احتياج اطفالها لأب . من علمها بنظرة المجتمع للمطلقة . عاشت عاما حزينا قلقا متوترا لاامان فيه .تخاف على نفسها وعلى ابنائها تتصور كل شىء واى شىء تتوجس ان يفعل بها طليقها شىء من غيظ بعد ان غلبته واجتازت كل الحيل التى لعبها مع محاميه . طويلة ايام ذلك العام لكنها مرت..

وفى لحظة خارج حسابات التوقع وخلف تسابق الايام الراحلة ...ظهر هذا الرجل كالطيف. كفرسان القرون الوسطى كالغمام فى سماء نهار صيفى وجرت الرياح بما تشتهى السفن

كان فنجان قهوة قد جمعهما فى مكان عمل .فقد كانت تربطهما زمالة ومودة

واتصل حوار تقاربت فيه نبضات قلوب ..حوار هادىء رزين لامرأة تعمل لخطوتها الف حساب ورجل يزيد على الالف الف .. كان مايجمع بينهما قليل بل ان ماكان يفرقهما اكثر مما يجمعهما .فارق فى السن متسع وفارق فى المشارب والثقافة . لكن هذا القليل المتبقى جمعهما وتلك هى معجزة المشاعر وروعة الحب .كان هو بشخصه من استطاع ان يحتوى تلك العاصفة الهوجاء الثائرة فى داخلها .كان هو من استراحت لتضع بعض سرها بين يدية .وهو هو من تجاسرت دموعها فانكبت على مرأى منه. !

وكان هو من وجد نفسه الذاهبة عنه فيها . ملكت عليه نفسه وقلبه . كان يحيا فى بيت لم يعد له فيه شىء .طلاق صامت مع زوجة عنيدة لم يعد يجمعهما الا ذلك الحوار المادى حول متطلبات البيت .مفاوضات كمساجلات التجار .مشاعر رحلت معانيها .رحل الابناء .غادروا البيت الى بيوتهم او اوطانهم الجديدة تزوجت احدى ابنتيه وسافرت الى كندا مع زوجها ورحل ابنه الى الامارات ...ملأت عليه ليله الذى كان يقضيه ساهرا يقلب الصفحات فى كتب لايقرأها او يجلس اما شاشة التلفاز لايشاهد الا قناة واحدة تنقلة الى عالم يتمنى ان يفر اليه ويحياه .عالم من الطبيعة البكر النقية عالم يحلم فيه ببداية يولد فيها من جديد.

فكر فى كل شىء وراح كعادته يضع الحلول لكل شىء .يبتكر الحلول . يوجد البدائل .يذلل الصعاب الكثيره . عاد به العمر كأنما ولد بالأمس .انتفضت فى عروقه دماء شباب تتوقد

نشاطا وعزما ..التقيا فى ذلك الركن الخفى الحبيب .القهوة والكابتشينو عناق الايادى ودفىء القلوب.

كانت تحب القهوة مثله تعشق النسكافيه تبتسم جمالا وروعة للكابتشينو.

فى ذلك المطر الهاطل اختطفا ساعة مشيا فيها سويا فى طريق حرصا الا ترقبهما عين.

ضحكت كطفلة وقفزت فوق برك الماء على الرصيف ومدت ذراعيها لتستقبل زخات المطر الخفيف وهواء البحر برائحة اليود المنعش ...

عاد الى منزله يكاد قلبه يقفز من صدره فرحا بعد ان اتصل ليطمئن انها عادت بسلام..

كانت الايام تمر جميلة رائعة الخطى حتى مرضت زوجته ولازمت الفراش لم تعد تقوى على الحراك وكان لابد مما ليس منه بد . انفق كل حلوله بدل كل خططه . راحت توصية بالحاح على الابنة الصغيرة التى لم تتزوج بعد كأنها وصية الموت ! امتلأ البيت عليه فقد عاد الابن المسافر من الامارات وجاءت البنت الكبرى من العجمى واقامت معهما لتساعد امها.

وكأن الامور الصعاب قد اتفقت ...فقد مرضت امها ايضا مرضا شديدا وانخرط الاولاد فى دراستهم وامتحانات نصف العام .تعرض مصنعها الصغير لحريق من ماس كهربى لم تطفئه حتى امطار الشتاء التى كانت تهطل حينها وتحيل الارض وحلا وطينا !

فى ذلك الصباح الذى كان ينتظره كل يوم ليرسل لها تحيه ملؤها امل . تحية يتفائل بها عامة يومه. تحية صباح تفتح امامه ابوابا موصدة وتبعث اليه رزقا.

ارسلت اليه فى ذلك الصباح برسالة مطوله على الهاتف..

اخبرته ان هذه هى نهاية تلك القصةالجميلة وذلك الحلم.

لم تره ولم يرها بعدها .. لم ينقل الاثير لهما صوتا بعدها ..

بقى فقط ذلك الصمت وتلك الدموع الحرى.

وذلك التحدى الذى وضع سورا عاليا لم يكن بوسعهما هذه المرة تخطيه.

قلت : يتكفل الزمان ببرء الجروح.

قالت : بعض الجراح لايداويها الزمن.

جراح الفراق - فراق الاحبة- قاسية صعيبة . تبقى آثارها كأنها لم تبرأ .كأنها عصية على الشفاء .تنكأها كل ذكرى و تسيل آهاتها عند كل عبره.

حين حكت لى عنه عرفته..

نعم عرفته بل انى متأكد انى رأيته بالامس القريب فى ذلك المقهى الشهير وقد وضع امامه فنجانين احدهما قهوة والاخر كابتشينو !!!

زكريا الشافعى

الاسكندرية يناير ٢٠٢٥

" كوما " .. قصه قصيره

لايمكن ولايتصور ان فيه معلومة ما او سؤال او فتوى لايعرفها الاستاذ عبد الحميد . فى هذه المؤسسة الضخمة بفروعها واقسامها الكثيرة الجميع يعرفه فهو القاموس والمرجع التى قضى فيها عمره واصبح على مشارف الستين . الرجل يعمل بهمة شاب فى العشرين يقضى نهاره فى عمله هذا يكاد يكون اخر من يغادر المكاتب يغلق حراس الامن خلفة باب البناية الضخمة او يمكث احيانا بعد اوقات العمل الرسمية ليكمل عملا ما .فاذا هبط الليل وتعجلته تليفونات البيت اضطر ان يغادر حاملا بعض اوراقه وحقيبته الكبيرة التى لاتفارقه ليكمل عمله فى البيت .الاستاذ عبد الحميد لا يعرف هواية فهو نادرا ما يقرا ليس لان القراءة لاتستهوية ولكن لان النشرات الوزارية والتعليمات والقوانين واللوائح تشغل ذلك الوقت ولطالما الح عليه زملاؤه فى المصلحة ان يرافقهم فى رحلات الصيد او جلسات السمر فى كافيتيريا الصحبجية التى اعتادوا ان يتجمعوا فيها كل جمعه وكل اجازة فلا ياتى ..

نصحته زوجته ذات مره ان يغير ذلك اللون الذى اعتاد ان يرتدية فى كل شىء يلبسه حتى سرواله الداخلى ذلك اللون المستلقى بين صفرة الرمال وكلاحة التراب !فنظر اليها بتعجب ولم يجبها بشىء. !

انه يهوى العمل وهوايته العمل وفى وقت فراغه يعمل ويصحو من نومه ليكمل ماكان يعمل .يضحك احد اصدقائة فى العمل حين يذكر ان فلان ماكان ليترقى الا بعمل وجهد الاستاذ عبد الحميد فهو الذى اعد الاحصائيات والبيانات وضبط النقص وحصر العجز واعد القوائم ووو ..

ولولا نصيحة الاستاذ عبد الحميد لفلان الذى اخطأ فى كذا لطاله جزاء لايبقى له شيئا . ولولا ولولا ...

ستون عاما اكملها الاستاذ عبد الحميد فى ذلك الشهر الذى اقام فيه له الزملاء حفلا وجد فيه فى يوم من الايام انه ليس عليه ان يرتدى ثيابه فى غبشة الصبح ولا ان يحمل حقيبته ليكون عند موقف الميكروباص الذى لم يزدحم بعد ليقله الى عمله . ليس عليه ان يضع فى شنطته بحذر ساندوتشات افطاره فى كيس بلاستيكى محكم بين طيات الاوراق فيها . ليس عليه ان يتذكر السكر والشاى فى دولابه ليشتريه .ولا اصلاح ذلك الكتيل الذى اصلحه عدة مرات من قبل ...

لقد استيقظ فى ذلك اليوم وجلس فى سريره لايدرى ماذا يفعل ..وفعل ذلك فى اليوم الذى يليه واليوم الذى يليه . لكنه استيقظ ذات يوم من هذه الايام وارتدى ثيابه وحمل حقيبته وذهب الى عمله واستمر يعمل حتى انتهى يوم العمل .كان يوما جميلا بين حفاوة الزملاء وترحيبهم ودعاباتهم قضى عبد الحميد يوما ازاح عنه مرارة الايام الفائتة التى احتبس فيها نفسه فى البيت سجينا . لكن حين مر اسبوع كان الامر قد اصبح غريبا وغير طبيعى وغير وغير . وادرك الرجل على طيبته ان الامر اقوى من امنياته واحلامه وتوقعاته بل اقوى من قدرة معرفته وخبرته فلم يعد يأت.

جلس على مقهى فهاله الضجيج وحضور الصغير والكبير ورائحة الدخان . وافتقد زرقة ماء البحر فلم يجد مكان يجلس فيه يرى الشاطىء منه .فلما دلف الى احد الشواطىء استحى من كونه وحيدا فى منضدة بين كل اثنين حدثى السن يتناجيان. فاسرع بشرب شايه وانصرف.

وفى مساء الجمعه فاجأ اصحابه فى الصحبجية بحضوره ..لكنه طوال ساعة واكثر كان يجلس مستمعها مشدوها فقد كانوا يتجاذبون اطراف الحديث فى امور يكاد لايعلم عنها الا اسماءها احس حينها انه يقف على باب موصود لعالم لايعرفه...

ضحك فى سره ." لقد اضعت عمرك فى العمل ياعبد الحميد.. " .. لقد كنت فى اغماءة طويلة يارجل . كنت فى كوما coma كما كان يحلو لزميلة معلم الانجليزية ان يقول له

حين تلقى عبد الحميد احد مبالغ مكافاة نهاية الخدمة اشترى بضعة بنطلونات وقمصان على الموضة ولم يكن من الصعب عليه ان يقنع زوجتة ام احمد ان تصحبه فى ذلك اليوم الذى دعاها فيه ليتناولا الغذاء عند "حسنى" فى المندرة ويجلسا بعدها ليشربا الشاى فى كافيتريا "سلطنة" على كورنيش العصافرة.

قال لزوجته وهو يتناول اخر ماتبقى فى كاس الجيلاتى الذى كانت الالوان تتبارى فيه وقطع الفاكهة منثورة ببذخ على قمته .د اللى انت بت

- تعرفى اخر مرة اكلت فيها جيلاتى كانت حين كنت فى العاشرة من عمرى . حينها قال لى ابى حين رانى
- ايه ياولد اللى انت بتاكله ده مش مكسوف من نفسك !!

زكريا

صيف ٢٠٢٤

فرق سرعات .قصة قصيرة

تزوج صديق لى ثلاث مرات من اجنبيات وذلك لكونه احد الطيور المهاجرة فهو يعمل فى الخارج .وقد ألجأته ظروف عمله الى ان يكون خارج مصر معظم حياته . يقول : حين اتيت الى اوروبا فى اول سنى شبابى احمل فى داخلى فورة شاب فى اوائل العشرين والتقيت Annaكانت ابنه صاحب مزارع العنب التى كنت اعمل بها فى ريف فرنسا كنت حينها انجز عملى فى نصف الوقت الذى يفعلة الاخرون .وحين اخبرتنى Anna انها تحبنى وتريد ان تتزوجنى وقفت مشدوها كأنما امسك بى ماس كهربى .. المهم اننا حين تزوجنا كانت تبذل كل جهدها لتعلمنى الفرنسية بشكل جيد وتحضر لى كتبا وصحفا ثم اذا بى فى بضع سنين اجد نفسى فى موقع مرموق وصاحب تجارة ناجحة ..كانت Anna نموذجا لجنون فرنسا وعظمتها. لمجونها ورقى ثقافتها . لرقة عطورها وفتنة ازياءها ... كانت شيئا ثائرا متقلبا عنيدا وكانت قلبا كبيرا وروحا سابحة ....

طق فى رأسها فسافرت مع فريق متسلقى الجبال الى التبت لتتسلق اعلى قمة فى العالم قمة الهيمالايا ولم تعد من يومها فقد هامت فى الشرق بغموضة وسحره فلاتدرى اهى فى الهند عند ضريح او معبد او فى تايلاند تتلمس تماثيل بوذا او انها فى ساحة ناراتودى فى اليابان تجلس القرفصاء فى سكون اليوجا . بل لعلها توقد الشموع فى كنيسة سانتا ماريا فى الفلبين.

حين حصلت على منحة لدراسة الماجستير سافرت الى امريكا وهناك التقيت مارجريت "Margaret" فتاة من عائلة امريكية عريقة تعود الى اصول اولئك المستعمرين الاوائل الذين امتلكوا ضياع وارض شاسعة .جمعتنا الدراسة فى جامعة "الينوى" وجمعنا الشغف بالفرنسية وآدابها و حين تزوجتها كان شيئا اشبه بالحلم .فى تلك الشقة المتواضعة فى الحى الرابع ...

عشت اجمل ايام حياتى ..

كنا ننظم وقتنا لنعود من الجامعة سويا .. جعلت مارجريت من ذلك السكن البسيط شيئا جميلا يستحق العودة اليه بشوق كل يوم . وكنت قد اقتنصت فرصة لعمل بدوام جزئى وفر لى مبلغا من المال اعاننى -الى جانب منحة الجامعة المادية- على ان احيا فى بحبوحة مكنتنا ان نرى الحياة فى امريكا ونمتع انفسنا ببعض اماكنها التى كانت تعرفها جيدا ..

اغرب ماحدث لى يوم قررت ان تزور ابواها .قطع بنا الباص سفرا طويلا يكاد يزيد على نصف يوم حتى اذا وصل بنا الى مدينة صغيرة استأجرنا كاب اى تاكسى ليأخدنا الى مكان بعيد خارج المدينة فاذا به قصر كبير وسط اراض شاسعة .
كان ذلك هو بيتها الذى نشأت وترعرعت فيه حتى غادرته ذات يوم .. !!
تحية ارستقراطية باردة تلك التى قابلنى بها الاب الذى يذكرك باللورد كرومر بوجهه المنتفخ حمرة وشاربة الكثيف .وعناق ودمعات حرى تلك التى سقطت من عين مارجريت وهى تقبل امها على كرسيها المتحرك . ا
مراة بدت لى غير مدركة مايحدث.
عرفت فيما بعد انه الزهايمر .
كنت اجتهد كثيرا لاتبين معنى الكلمات التى قالها الاب لابنته فى المرات القليلة التى جمعتنا به ، حوار مقتضب فيه عبارات بلهجة اهل الجنوب لايمكنك تبين معناها لكنى استطعت ببعض الحدس والتخمين ان افهم .وكان من جملة مافهمت ان مارجريت مستعده للسير معى حتى اخر الدنيا حتى وان عدت الى مصر ... واقتصرت الزيارة على يومين فقط ..
بعد ان انهيت دراستى وحصلت على الماجستير بقيت فى امريكا . لم ارحل .لقد قررت ان ابقى .
وكانت هى من رحلت .. !!
.نعم رحلت وتركت كل شىء .سافرت الى فرنسا.!

فى كندا حيث ثمة مدن تظنها فرنسية من كثرة مافيها من فرنسيين .كنت اعلم ان فرنسا كانت قد سبقت الى استعمار كندا قبل ان تخرجها منها بريطانيا .
فى زياراتى المتكررة لكندا محاضرا فى بعض دور الثقافة والمعاهد فيها التقيت " أبينا" او " آبي " كما اعتدت ان اناديها ....فتاة من ساحل العاج او الكوت ديفوار Côte d'Ivoire كما يحلو لهم ان يسموها. كانت ابنة اب افريقى وام فرنسية لم تر فرنسا ولم تعش فيها يوما .
! .كانت " آبي"... مزيجا نادرا فريدا من دفء ووهج افريقيا ونعومة وليونة فرنسا .جميلة التقاطيع سمراء قمرية الوجه هيفاء العود . تنساب الكلمات من فيها كأنما همس الريح على برارى السفانا .بكى ابوها طويلا واحتضنها فى حفل زفافنا البسيط . كان رجلا فاضلا راح يوصينى بها فقد كان على سفر عائدا لبلاده التى هبت فيها ثورة اطاحت بالحكومة التى كان هو مسئولا فيها.
قبض الثوار على ابيها ثم اعدمه العسكريين الذين اخمدوا الثورة .

ومن يومها تحولت "آبي" الى ثورة وشعلة متقده .راحت تطوف كندا وامريكا منددة بالثورة والثوار مشاركة فى كل احتجاج ومسيرة لكل شىء وضد كل شىء .ألهبت حماس المسيرات وترددت كلماتها عبر الاثير فى محطات التلفاز ..

صارت "آبى " اسما فى كل الميديا .ناشطة بدرجة سفير .

سافرت فرنسا ومن هناك رافقت القوة الفرنسية التى هبطت ساحل العاج لتخمد هذه الثورة . لقد نذرت نفسها لثورتها وثأر ابيها.

فى خريف العام الماضى عدت لمصر .كان على ان ارتوى من نيلها واقبل ترابها فقد طالت الغيبة هذه المره ..

بضع اصحاب بقيت بيننا المودة وان طال الغياب والتوق للقاء وان طال السفر .نصحنى صديق ان اتزوج من بنت بلادى مصرية من نبت هذه الارض التى اعشقها. بل وقال انه وجد لى عروس تناسبنى . كانت امرأة متوسطة الجمال كاد قطار العمر يمر بها من محطة الزواج .لم تحصل على قدر كاف من التعليم لكن صديقى قال ان هذا لايهم ومسألة السن امر نسبى وان وان..

واوصانى الا اذكر زيجاتى الثلاث لكننى فى الواقع مااحببت ان اكذب شيئا فحين سألتنى اجبتها فراحت عيناها تتسع ولاادرى كيف راح فمها يتلوى يمينا ويسارا وتغيرت صفحة وجهها الذى كنت اتبين كل الوان الطيف فيه !!

فى مساء ذلك اليوم اتصل على صديقى ليخبرنى بانها ترفض الزواج برجل تزوج ثلاثة رجل نسوانجى كما قالت. "!!

" نسوانجى " ..ضحكت حتى دمعت عينانى ..

وبعد لحظة صمت اخبرنى بانه سيقطع اجازته ويعود الى فرنسا ومنها الى "مالى" .

فقلت له فعلا عندك حق وانا مالى !

زكريا الشافعى

الاسكندرية .شتاء ٢٠٢٤

صنايعى محتوى ..! قصة قصيرة

الحاج رجب رجل عصامى . يذكرك مشوار حياته بحكاية عبد الغفور البرعى فى مسلسل "لن اعيش فى جلباب ابى" .كثيرة اوجه الشبه بين الرجلين غير ان الحاج رجب رجل من دم ولحم وليس شخصا صنعه خيال كاتب .كل محلات العطارة التى زادت فروعها على اربعة عشر فرعا وامتدت فى انحاء المدينة ملك خالص له وفر له معيشة راقية منعمة واتاح لبناته زيجات من كبريات العائلات ..

الا ابنته الصغرى "وديدة" التى انجبها على كبر حتى بدا لمن يراها معه انها حفيدته .

كانت تدرس فى الجامعة الامريكية فى السنة الثالثة .كانت شيئا مختلفا عن كل اخواتها.

الحاج رجب رجل دقة قديمة حتى انه مازال يرتدى الثوب والعباءة ويلتحف الشال وعلى رأسه شاش عمامة خفيف كأنه ينتمى الى زمن لاتراه الا فى افلام الابيض والاسود . فى وجهه نضارة شاب فى حلو ايامه وشارب كث كجناحى طائر .

كان الحاج رجب يختبر ازواج بناته قبل ان يقبل بطرق عجيبة لكنها ناجحة ناجعة نتج عن كثير منها ان انهى خطبة عدد من هؤلاء لبناته ..

لم يقبل ذات مرة ان احدهم كان لايعمل وان دخله من ميراث ابيه وايجارات عقارات يحصلها هى كل مايفعله ..

تحكى ابنته الكبرى عن ذلك العريس الذى جاء مع ابيه للتعارف فاشعل سيجارة .. رأت وسمعت وهى ترمق الجالسين من ثقب الباب ان وجه ابو العريس حمل الوان الطيف حين راح ابوها يؤنبه عن سماحه لابنه ان يدخن فى حضوره ..وطبعا لكم ان تتخيلوا مابعد ذلك ..

وكان من تقدم لخطبة صغيرته اخر العنقود الدلوعة فتى يكبرها بعامين فقط لم ينبت الشعر بعد فى ذقنه . لكن شعر رأسه الكثيف كعش طائر يسع نسرا .وتلك السلسلة الفضية التى تتدلى من رقبته ناهيك عن ذلك البنطلون الذى لالون له ذو الرقعتين المقطع على ركبتيه يبين شعر فخذة وركبتية امر لن يمر بسهوله !!

ثم اكثر ما اثار الرجل ان هذا الصغير جاء بمفرده ! كأنه راى فى نفسه ندا وكفؤا لان يجلس معه...

ودار حوار اراد فيه الحاج رجب ان يعجن هذا الصغير ويخبزه ..

.. لكنه حين اراد ان يدهش الفتى بمايعرفه عن الدنيا ادهشه الفتى بما لايعرفه هو عنها . وحين استعرض محلاته الاربعة عشر على طول المدينة وعرضها افحمة الفتى بموقع يديره على الانترنت يدر عليه دخلا بالدولار يفوق ما يكسبة الرجل بكثير

وكانت " يوتيوبر " هى المهنة التى استلزمه وقت ليفهم معناها .واشياء اخرى جلس الرجل يستمع الى الصغير صامتا هادئا كهدوء صفحة وجه القهوة فى فنجانه الذى نسيه على المنضدة ...وكانت عيناه اللتان راحتا تتنقل بين رقعة بنطلونه والسلسلة الفضية فى رقبته قد مرت بكتله مفاتيحه على المنضدة ليعرف ان ماركة سيارتة هى نفس ذلك النوع الذى يملكه .بدت كلمة اونكل له سخيفة كأنها شتمة لرجل يرتدى قفطانا وعلى راسه طاقية وفى قدمية بلغة . لكن اسلوب الفتى المهذب وحديثه الراقى الواثق اعجبه...

"يوتيوبر " .. !

!.. لم يهضم ذلك المعنى الحرفى لكلمة يوتيوبر حين اصر ان يعرف معناها بالضبط .. ..

هز راسه .. فقد كان يعرف صانع... وصنايعى ... ومصنع ...

لكن صانع محتوى هذه لم تمر على اذنيه من قبل ..

زكريا الشافعى

الاسكندرية شتاء ٢٠٢٥

"زواج أبى " . قصة قصيرة "

كانت الساعة قد اكملت دورتها نحو العاشرة مساءا ليكون قد اكمل فى جلسته هذه ساعتين بالتمام والكمال على ذلك المقهى العتيق فى بحرى .. مقهى اعتاد ان يرتاده وبضع زملاء له وصحبة لم يعد منهم على قيد الحياة كتير .. مازال يجلس وحيدا فلم يأت احد منهم بعد . لم يكن الجو حارا ولاباردا فى تلك الايام من اواخر سبتمبر فى الاسكندرية .

ساعتين مرت خلالهما امام عينية ذكرى كدرت عليه صفو جلستة وفنجان القهوة الذى لم يقربه منذ ان وضعه القهوجى امامه..

"بعض جراح الفلوب اقوى من قدرتنا على السماح واقوى من مقدرتنا على النسيان ... " كانت تلك كلمات زوجتة الاولى التى واراها التراب منذ شهرين حين علمت بزواجه من اخرى منذ ١٠ سنوات .

عشر سنوات مرت . مااسرع السنوات التى تنقضى من اعمارنا !!

كان يجلس الى نفسه يختلى بها يحاسبها . نعم كانت زوجتة الاولى حب عمره وقصة حياته ... لكن بعض اقدارنا اقوى من قدرتنا وقدراتنا . بعض اقدارنا تضيق علينا المجال فلاتمنحنا اختيار .

وراح يتذكر كيف تزوج الثانية..

كان يحيا وحيدا وهو فى بيته بين زوجته واولاده كان الكل مشغول بشىء ما . لم يكن البيت الا فراش نومه الذى كان غرفة مكتبة الصغير . يقضى يومه فلا يدلف احد الى غرفته الا فى القليل النادر لحاجة عابرة .

كانت زوجتة تقضى يومها بين ابنائها وبيتها وحياة كرستها لعائلتها ونشاطها الاجتماعى والخيرى . فلايكاد يراها الا عائدة او خارجة .نعم كان يحيا وحيدا . يأكل وحيدا وينام وحيدا . لم يكن ثمة حوار الا ذلك الذى يخص شئون البيت لقد حاول ان يشغل نفسه بهواية ما فلم يفلح . كان الصيد هواية صديقة على البكرى لاتستهوية فقد جرب ان يذهب معه مرتين فلم يستسيغها . احس بالملل .يقولون انها "تعلم الصبر" وقال هو انها" تعلم الملل".

كانت القراءة هوايته الاولى لكنها تبقية حبيسا فى البيت . وقد اصبحت الآن عبئا عليه بعد ان اوصاه صديقه طبيب العيون - الذى لايكف عن التدخين طوال يومه - ان يكف عن طول السهر فى القراءة !!

.. كان بحاجة الى من يحادثة ، يكلمه ، يسمع منه ويسمعه .. يستطيع البوح بما يعتمل فى صدره وتضيق بها انفاسه وتختنق بها رئتيه . شخص ما يهتم لامره ويسمعه .. فقط يسمعه ! الى من يكسر صوم صمته وركام الكلمات المحشورة فى جوفه. الى شكواه التى تحجرت فى صدره ..

يود ان يشعر انه مازال حيا بعد ان صفت الشركة الاجنبية التى كان يعمل بها اعمالها فى مصر فاصبح بلا عمل وهو فى الرابعة و الخمسين من عمره .. حاول ان يعمل فى شركات مصرية مماثلة لكن الامر لم يكن سهلا ... ان ذلك المبلغ الجيد الذى حصل عليه كان من نصيب الاولاد فقد كان ابنه فى حاجة الى تمويل مالى لمشروع حياته الذى بنى عليه امله ومستقبله .. وكانت ابنته تخطو سريعا نحو جمال آسر وانوثة فاتنة وقد عرف ان ثمة من اشار ولمح لزوجتة من حريم العائلة فهبت زوجته بمهمة شراء تلك القائمة التى لاتنتهى من لوازم من الان ....

التقاها هناك فى ذلك المقهى الذى اعتاد ان يجلس فيه . حين جلست الى جواره ذات يوم فى المقهى وقد كانت متعبة فطلبت ماءا ثم شيئا خفيفا لتشربه. لم يكن من عادة المكان ان تجلس فيه السيدات .لكنها لم تكن كأى سيدة . لقد بادرته الكلام حين التقت عيناها بعينية وهو يختلس النظر اليها . اعتذرت ان كانت قد سببت له حرجا .. وابتعدت بكرسيها قليلا ...كانت فى العقد الرابع من عمرها .. مازالت تحتفظ بجمال امرأة كانت فاتنة فى شبابها .. لم يفلح ذلك البالطو الفضفاض ان يخفى ثمة قوام ملفوف يحتويه .

هكذا بدا الامر ... حدثته عن مشكلة ما فى عملها فعرض حلا مناسبا وتحليلا واعيا بالمشكله . ثم اتصل الحديث عن مهنته فادهشها بسعة اطلاعه وادهشته ببساطتها وصراحتها وعدم تكلفها ....

وكان على الهاتف المحمول بعد ذلك كل شىء . حديث طويل كان يطال كل شىء فى حياتهما .. حديث لم ينقطع يوما .

وجد هو من كان بحاجة اليه . لقد وجد من يحادثه . يكلمه ..يسمع منه ويسمعه . وجد من يستطيع البوح له بما يعتمل فى صدره . وجد من يسمعه .. من يبقيه على قيد الحياه ولو ان يسمعه .. فقط يسمعه !

وانزاح عن صدره ركام صمت طويل . والم عضال كان يطعنه كل مساء فى خاصرته فيحرمه النوم .....

ووجدت هى رجلا تطمئن الى وجوده فى دنياها . رجل يحتوى ثورتها وغضبتها من كل هؤلاء الذين ظلموها وانتهبوا حقها بعد ان مات زوجها .ومن كل هؤلاء الذين تصدت لسخافتهم ونذالتهم فى مجتمع ينظر للارملة والمطلقة نظرة معوجة قاصرة ...

كانت عطاءا وحنانا وحبا وقلبا نابضا وروحا تفوح اريجا اذا صفت ، وتزفر نارا وألما اذا تذكرت ماحدث لها ..
كانت جرحا غائرا وألما دفينا كلما استدعته الذكرى صرخ ..
مر عام طويل بزفير صيفه وزمهرير شتاءه . بصفو ايامه وكدرها مر كانا فيه كأنهما زوجين على بعد يجمعهما حديث كل صباح وكل مساء . ملأت عليه حياته وهو يتابعها وهى تنام وتصحو، تبكى وتضحك، تطهو وتأكل .تروح الى عملها وتجىء . تحكى له ويحكى لها مامر فى احلامهما فى الصباح ومامر بهما من احداث فى عامة يومهما ...
كان ينظر فى المرآة فيرى ابتسامة تنير وجهه ويرى فى نفسه همة وقوة لم يعتدها منذ انتهى عمله ووظيفته واصبح بلاعمل يتقاضى معاشا ..
كانت قد ارسلت اليه صورة ذلك الثوب الجديد الذى اشترته فاعجبه .. .. كانت قبل لك لم تكن ترتدى الا ذلك الزى ... كأنما توقفت حياتها فلم تعد ترغب فى تغيير شىء ...
اصبحت حياته وسكنه ونهار يومه وحلم لياليه واصبح هو كل مابقى لها من حياة ودنيا تحياها ...
راح فى تفكير عميق لأيام وأيام كاد يُذهب عقله . ويُنغص عليه يومه وليله .. انه القرار الذى يجب ان يحسب له الف حساب .. قرار لايمكن تأجيله الى مالانهاية ... ولايمكن اتخاذه دون حساب عواقبه. فلم يكن يوما متسرعا ولا رجلا لاينظر الى الغد ويحسب للامور حسابها .. .. كاد الامر يفقده عقله ... تناقشا طويلا ..
ثم ذهبا فى النهاية الى مكتب مأذون وتزوجا .
كان للصدفة وحدها حظ فى معرفة زواجه الذى ظل سرا عصيا على الجميع ... خاصمته زوجته .. قاطعته ...مزقت ثيابه... دمرت مكتبته .فشلت كل محاولاته معها .. كادت تقتله ذات يوم حين قذفته بفازة ثقيلة اخطأت راسه !.
مرت السنوات ثقيلة عليها ، كان وجوده رمزيا وضروريا فى بعض المناسبات . لقد حافظ كل منهما على هذه الاسرة وحافظا على الشكل والمظهر المترابط امام المجتمع .كانت تقف امام الكاميرات فى فرح خطبة ابنتها تبتسم تتأبط ذراع زوجها امام اعين الجميع تتنزع الصور من اعين كاميرات التصوير . كانها تود ان تنفى شيئا ما وتؤكد شيئا ما ...
لم يكن الاولاد ولده وابنته كامهم بل لعلهم ادركوا بشكل ما انهم كانوا سببا دفع ابيهم ليفعل ذلك ... كان يرون هه القطيعة الصامتة بين ابيهم وامهم وذلك التجاهل والبعد .. لم يكن اى منهم قريب منه فى تلك اللحظة ... انطلف كل منهم فى دنياه يحياها يشارك الابن فى مشروع لايعرف الاب عنه كثيرا يقضى الفتى عامة يومه خارج البيت فاذا عاد عاد كالطيف داخلا وخارجا .. كانوا جميعا مشغولين بحياتهم ودراستهم وزملاءهم . تذكروا اللحظات التى حاول فيها مرارا وتكرارا ان يدخل حياتهم فكانوا يروغون منه ويزوغون . لقد وجد ابيهم من يشغل حياته .من يهتم به . من يملأ قلبه الموجوع حبا وعطفا . من يطعمه زاد الحياة فيبقيه حيا .

لم يستطع كلاهما ان يقاوم شغفه ورغبته فى ان يرى تلك المرأة التى شغلت قلب ابيهم .... رأها الفتى من بعيد . اما الفتاة فقد دقت بابها ذات مساء !
وجلسا يتحدثان ابنه وزوجة أب
حين عادت ابنته الى بيتها فى ذلك اليوم اوت الى سريرها واغمضت عينيها وراحت تبكى فى صمت ! لقد رلت المراة التى احبها ابيها وترك البيت من اجلها رات صورتة معلقة على الجدران يبتسم ويفيض حيوية وحياة . لكم كانت زوجة ابيها انسانه راقية ولها حضور بهى ! لم تستطع ان تكرهها ولم تستطع ان تتهمها بشىء . فقط جلست تستمع اليها طويلا طويلا .. وانصرفت فقط حين علمت ان ابيها على وشك ان يعود الآن من عمله الجديد !

عشر سنوات مرت كانت شركة الابن قد توسعت واصبحت اسما وسمعة . كانت الابنه قد تزوجت وانجبت بنتين وولدا اسمته على اسم ابيها !
عشر سنوات مرت كانت عمرا وحياة . عشر سنوات كانت زوجتة الاولى غارقة فى اجتماعات ومؤتمرات وجميعيات رعاية اجتماعية وثقافية تتالق صورها على صفحتها وهى تصافح محافظ المدينة ورئيس الحى ومدير المؤسسة والجمعية وبين افتتاح وحفل تكريم راحت تزداد شهرة ومعرفة حتى الم بها مرض احتار الاطباء فيه فالزمهاالبيت فى النهاية وراحت تفقد بعضها يوما بعد يوم حتى فارقت الحياة ..
ولاول مرة دخلت زوجته الثانية بيته الاول لتعزى فى زوجته الاولى ... خليط من مشاعر انتابتها وهى تخطو بقدميها الى ذلك البيت القديم الى اتسعت ضلفتى بابه المفتوحيتين ليمر منه ذلك العدد الكبير من سيدات اتين للعزاء من صديقاتها اللاتى ملئن المكان صخبا باحاديثهن الجانبية ... سريعا احتضنت الابنه وجالت بعينين دامعتين فى اركان البيت الذى عاشت فيه امراة كانت زوجة لزوجها قضت معه اضعاف الايام التى قضتها هى معه . تتذكر ماقاله زوجها حين سالته .. فقال ان عمر الانسان يجب ان يحسب بعدد الايام السعيدة التى قضاها فى حياته ..!
تمر الايام اسرع مما نتوقع وتنقضى السنوات التى نحسبها طوال . لقد اجهدته الايام والسنين اتعبته ودقت عظامه واحنت ظهره لكنها ابقت روحه قوية عنيدة متماسكة . لقد اصبح اكثر صمتا بعد موت زوجتة وراح يشرد كثيرا ولايدرى ذلك الالم الى يحرمه النوم اهو شىء عضوى ام انه شيئ اخر دفينا متواريا فى اعماق نفسه ...
فى ذلك العام كان يقضى معظم ايام الاسبوع فى بيته الاول ينتظر ان تاتية ابنته ببناتها اذا مرت وهى عائدة من عملها او تمكث معه نهار ايام الاجازات التى كانت يعدها ويحسب ايامها ... ينتظر عودة ابنه ذات مساء متاخرا فيتناولا العشاء سويا .!
فى ذلك المساء طلب رؤيتها بعد ان سقط فى بيته يومها مغشيا عليه واحس انه مفارق الحياة .. فى ذلك اليوم نظر الى ابنته واليها وهمس لهما بشىء قبل ان يفارق الحياة ...

فى ٢١ مارس الماضى كانت السماعات الضخمة فى ذلك المحل الصغير الذى احتل الرصيف بجواره وحوله تضج باغنيات عيد الام وعروض البيع والهدايا التى يجأر بها صوت أجش .. اصطحبت ابنته مروة "عبد الحميد" الصغير وابنتيها "وفاء" و "دعاء" وذهبت عند "ايمان" زوجة ابيها لتزورها فقد وعدتها بالزيارة فى آخر مكالمة من تلك المكالمات الطويلة بينهما .

زكريا الشافعى

الاسكندرية ٢٢ سبتمبر ٢٠٢٤

ذبابـة كاتب . قصة قصيره

كان لابد ان يقتل تلك الذبابة التى راحت تحوم حوله وتحط احيانا على شاشة اللاب توب امامه او على الاوراق المبعثرة على المنضدة والملف الكبير المفتوح على اخر صفحة . الصفحة ٣١٢ . امسك بورقة كبيرة لفها على هيئة اسطوانة وطواها بعناية وانتظر بصبر حتى اقتربت ورست على الصفحه .
وفى ضربة خاطفة طرقعت الورقة بصوت واضح فى ذلك الصمت الجليل فى الحى القديم . شعر بالارتياح ونظر حوله يبحث عن تلك البقعة السوداء التى تبقت منها فلم يجد شيئا ...!!

. وضع الورقة جانبا وزم شفتيه ثم راح يقرأ هذه الجملة الغريبة فى الصفحة الاخيرة من ذلك الملف الضخم "....." وهو يدقق بعينية فى تلك الاختام والنوقيعات
. دق هاتفه المحمول... تطلع الى اسم المتصل لحظة فوجد اسما لايعرفه ضغط على زر الصامت فاسكت صوت الرنين . يالها من نغمة غريبة تلك التى وضعها على جواله حين اشتراه منذ سنوات .لم يغيرها ... نغمة تشبه طنين النحل او ثغاء الغنم ! . حين انتهى الرنين عاود المتصل بالحاح ثلاث مرات . فى الثالثة وضع التليفون تحت وسادة صغيرة كان يتكىء عليها . نطر الى شاشة اللاب توب اللامعة .عادت الذبابة مرة اخرى تمرح على الصفحة اللامعة المضيئة ...
امسك بالورقة الاسطوانية مرة اخرى فى سرعة ودق بها على الشاشة ..
لم يصبها !
لقد استطاعت ان تفلت ايضا هذه المره !
راح يتطلع حوله يمينا ويسارا .. لاشىء .! من اين أتت تلك اللعينة .
دق الهاتف للمرة الرابعة .. كان صوت أزيز الاهتزاز الذى بدا واضحا فى ذلك الصمت المطبق ..
سب فى صوت خفيض ذلك الذى يتصل به فى تلك اللحظة
كان لابد ان يتم هذا الجزء من المقالة ...
- الو .. مين ؟
حضرتك يافندم اتصلت لطلب اكل من مطعم كذا ؟
- لا ياسيدى . قالها بتهكم .!! يعرف ذلك المطعم الشهير ... هذه الاسماء وهذه الاشياء ولايستسيغها اصلا ولاتهضمها معدته . .البروست والمقليات المشبعة دهونا وتلك السندوتشات التى تضج جبنا وتكتنز لحما يفج برائحة التوابل .اجنحة الدجاج .. صدور الدجاج .. وراك

الدجاج ...بانية الدجاج . لقد كره الدجاج لم يعد يأكله باى شكل كان . اغلق الفون والقاه بجواره وعاد الى عمله .

مرت خمس دقائق ...دق الهاتف مره اخرى كان صوتا اخر .
- نحن مطعم كذا سيادتك طلبت كذا وكذا ...
لا ياسيدى مش انا ... شىء غريب !! واغلق الخط .-
هذه المره رآها واقفة على احد مفاتيح الكى بورد . قام بهدوء فامسك بقطعة القماش اللينة التى اعتاد ان ينظف بها شاشة الحاسب . يعرف انها لن تخطىء الذبابة . فهى مرنه. لينة وقوية وليست كالورق .
وهوى بضربة قوية على مفاتيح الكى بورد وقد تأكد فى قرارة نفسة انه انتهى من تلك المشكلة البسيطة .

-آه.. ! الان نعود الى المقاله .قالها وهو يفرك يدية ويضبط نظارتة على عينية ثم يقرب عينيه من الورقة لكى يتبين بقية الجملة !
لقد تحركت الكلمات على صفحة الشاشة حين هبطت القماشة على مفاتيح الكيبورد بقوة . لقد حركت السطور ... بدلت الصفحات . عليه ان يعيد الصفحة والسطر ووضع مؤشر الكتابة .
تناهى الى سمعه صوت خافت من المطبخ ! هل كان تمة صوت حقا ام انه تخيل ذلك .. لقد توترت اعصابه وتصاعدت الدماء الساخنة الى ام راسه .. كل شىء حوله الآن مضطرب متوتر رغم هذا السكون . يضطرم ضجيج فى داخله . لهيب فى الكلمات على الاوراق . تغلى الكلمات على صفحة الشاشة تحيلها نار بلون حريق .. ضربات ثائرة الان بالورق وبالقماش وباليد على كل شىء حطت عليه الذبابة .

كانت صورته مع زوجته فى ذلك الاطار البرونزى اللون امامه قريبا من متناول يده . صورة عزيزة الى نفسه . يضعا دوما امامه ينظر اليها يخاطبها يستلهم منها العزيمة حين يكتب .
الصورة فى باريس فى الساحة الفسيحة وبرج ايفل الشهير يتألق بانواره فى الخلفية البعيدة كانت ترتدى معطفا فاخرا وتمسك فى احدى يديها بوكية ورد صغير .كان كل وجهها يبتسم وهى فرحة تتأبط ذراعه وكان هو فى احد اجمل معاطفه الشتوية وتحته البدلة التويد والكرافات الاحمر القانى وثمة قلادة تحيط بعنقه وتتدلى حتى اسفل صدره تبين بعض حباتها الذهبيه من بين خطى ازرار الجاكيت . كانت تلك القلادة التى حصل عليها فى ذلك اليوم من تلك المؤسسة الشهيرة على اعماله وكتاباته وخاصة على ثلاثيته " فى حب وطن " .. .
زوجتة هى حب عمره وملهمته وصديقته ورفيقة دربة وزميلته فى المهنة العذاب ..!

.. هى من اقامت الدنيا ليفرجوا عنه .. هى من حادثت كل من يمكنه ان يفعل شيئا ليفرجوا عن زوجها . كلمت السفير الفرنسى ، منظمات حقوق الانسان ، جرائد المعارضة ، اتحادات الكتاب والصحفيين ، محطات التلفزة الاخبارية الكثيرة التى ملأت فضاء الدنيا .. حتى سفير تلك الدولة التى منحته الحائزة .. وافرجوا عنه . وكانت هى من ضمدت جراحه بعدما خرج مكسورا مهانا معذبا يكاد ذلك الوميض الثائر ينطفى فى عينيه .

اصبح يحيا الان وحيدا منذ ان ماتت زوجته ولم يتمكن من حضور جنازتها حين قرروا للمرة الثالثة ان يقصفوا قلمه .. هاجر ابنه الوحيد الى كندا لكنه لم يستطع ان يرحل معه كان يشعر ان جذورة فى هذه الارض لو تركها يموت. .. .. " فى حب وطن تبقيه " كفاحه ضد الفاسدين واجب وفرض عين يبقيه . روح زوجتة التى تحيا حوله فى كل مكان تبقيه .

تعالى ذلك الضجيج الثائر الحانق فى داخله . تأمل فى الصورة الماثلة امام عينية ثم طاف بذهنه خيال حدثين فى الماضى جمع بينهما رابط تذكرهما باسى وابتسامة ساخرة حين تذكر ان السلطات فى بلده قد صادرت الجزء الثالث من روايته .. وان دار النشر الشهيرة فى بيروت هى التى اعادت نشر هذا الجزء الثالث .. لقد ساهم منعهم لها فى انتشارها اكثر !!لقد ساهم منعهم لها فى ان تلبس ثوب الفرنسية والانجليزية وبضع لغات اخرى وان تكون بين يدى قراء الدنيا جميعا .

حطت الذبابة على جبينه ففزع وهشها بعنف فعادت على اذنه فطوح بيده فكاد ان يبعثر الاوراق ويطيح بشاشة الاب توب من امامه ..

انقلبت الصفحة ٣١٢ من ذلك الملف الكبير . .

راح يتذكر تلك الجملة الغريبة التى قرأها فى التقرير منذ قليل ... هذا الملف اشتراه ببضعة الاف من الجنيهات فقداتصل عليه شخص لايعرفه قال ان لدية شىء ذو قيمة عالية . شىء قال عنه الرجل انه امانه تستحق ان تكون فى يد امينه ! عرف انه ملف قضية فساد هامه .. لايدرى كيف حصل عليه هذا الشخص .. هل سرقه ..!؟ لايدرى . كان الامر سريعا غريبا مباغتا .. فحين زاره هذا الشخص كان قلقا خائفا . ولم يكن اللقاء به فى مكان ما بل كان على قارعة الطريق .! لم يشأ الرجل حين اتصل عليه بعد ذلك ان يقول اسمه او ان يقبل مالا لولا اصراره فقد كان قد ادرك بفطنته ان الرجل فى حالة يرثى لها ورغم ان الثلاثة الاف جنية هى كل ماكان معه حينها، فقد وضعهم فى يده حين لقيه للمرة الثانية والاخيرة .

دوت الطرقعة للمرة الثالثة ..... افلتت ! .

قام غاضبا يدور فى االشقة الفسيحة الخالية . يبحث عن شىء يقتل به هذه الذبابة المزعجة .

وجد "بيروسول" فى دولاب الحمام . علبة صفراء طويلة عليها صورة ذبابة كبيرة ..كانت مليئة تقريبا .. ..تذكر شيئا .. تردد .. اعاد العبوة الى مكانها .... لايحب استعماله ... ستخنقه الرائحة .

فهو منذ اقلع عن التدخين ادرك ان رئته لاتحتمل اى شىء اخر غير هواء نقى خال من الزيف يبقيه على قيد الحياة ... انه فى حاجة الى هواء نظيف يبقيه على قيد الحياة ليكتب قصته ليقاوم .

.ان كتاباته تزعجهم ... قلمه يزلزلهم كلماته قنابل والغام تنفجر فى وجوههم ..

حين حصل على ذلك الوسام الذهبى ضايقوه فى كل شىء حين فضح فسادهم . يتذكرحين وصل الى المطار ازدحم معجبوه يستقبلونه .... ارادوا ان يكسروا فرحته صادروا الوسام اعتبروا تهريب معدن نفيس ! لم ياخذوا بالاوراق التى تفيد منحه جائزة دولية ..!

انفجرت الفعلة فى وجوههم .. جرستهم صحف المعارضة.. وتدخلت الدولة الاوربية التى منحت الجائزة واحتجت فافرجوا عنها وسلموها له .. عرف انهم يضيقون عليه وسيفعلونها مرة ثانية . ارسل الوسام الى ابنه فى الخارج .. قطعوا عنه معاش الوزارة قالوا ثمة اوراق وخطأ يحتاج الى مراجعة . راجعهم ... لكن كان هنالك من وضع عقدة لاتنفك . سلخت اقلام الصحفيين ذلك المسئول اخرجوا له ملفات فساد لم يعد من الممكن ان يغفلها القضاء . اشتعل الفضاء... ثار الرأى العام فابعدوا ذلك المسئول عن الصورة واقالوه من عمله .

انتصر قلمه وانتصر له محبوه وانصفه القضاء وعاد له معاشه .عاد له ذلك المال الذى يقبضة من الوزراة ذلك المال الذى كان ينفق منه على كثير من التزاماته نحو اناس آل على نفسه ان يرعاهم . حقه فى سنوات العمل الطويلة وفى سنوات كفاح طويل شريف ينبض حبا لهذا الوطن ويستضىء محبة لاهله الطيبين .لكنه يشتعل نارا وثورة ضد فساد البعض لايهادن فيه ولايداهن . سنوات وقف فيها حائطا منيعا . اشعلت مقالاته صحيفة السبت وحكت قصصه ورواياته مشاعر الاف الالاف .

كان يحارب فقط بسلاحه الذى يتقنه . كان سلاحه قلمه وكلمته قلمه .كان حينها قد بقى له خمس سنوات ليحال الى التقاعد لكنه آثر ان يقضيها بعيداعن ذلك الكرسى الذى يقيده الى حد ما .. فى صبيحة يوم وفى لحظة فارقة واحدة من كثير من تحدياته ، خلا مكتبه من ذلك الاسم المكتوب بالثلث على الباب و بالرقعة يسبقه لقب مدير على لوحة مستطيلة الشكل على المكتب . كانت قطعة من خشب فاخر منحوت اهداها له صاحب ورشة كانوا قد اقفلوها له لانه لم يسدد ماعليه ! كان الذى عليه هو الشىء الذى كام يدفعة كل جيرانه لمهندس الحى وذلك المسئول فى المحافظة حتى لايغلقها لهم ! كان على الحائط لوحة كبيرة ملونة فى برواز انيق عليها خريطة مصر كانت سجادة منسوجة من خيوط منحها له مركز " تاج الدين " الى انشاه المهندس الشاب عاشق الفن منذ عشرين عاما على اطراف قرية سماكة على بحيرة قارون وعند اطراف الصحراء لتعليم حرفة النسج لابناء القرية حين اغلق مسئولى

المحافظة المركز بحجة التراخيص وشروط السلامة وغيرها . كان هو من وقف امام بلدوزر الحى الذى كان على شوك هدم المكان ! وبعده بايام كان يحمل له كل تلك الاوراق ذات الاختام والتوقيعات . واعاد فتح المركز الذى وضعوا علية شريطا مختوما بالشمع الاحمر وجندى حراسه كان يقف لحراسة المكان وكل من بالداخل يعملون ! فى ذلك العام اهداه ابناء وفتيات القرية هذه اللوحة التى نسجوها بايديهم حبا وتقديرا فوضعها فى مكتبه الذى لم يخل ساعة من حضور ومحبين واصحاب شكوى وقراء . .

اخرجه صوت عند الباب من دفق الذكريات نظر فى العين السحرية .. انه عامل الدليفرى يحمل شيئا كبيرا فى علبة مستطيلة . احس بشىء غامض فيه حين ادرك انه يضع اذنة على الباب يتسمع . وضع المزلاج وسكك الترابيس فى الباب الحديدى للشقة . اسرع الى الداخل ارسل ماصوره الى ابنه فى كندا . صور المستندات التى ارسلها له الرجل وتقاضى منه البضعة الاف وارسلها له خباها فى مكان لايعرفه الجن الاحمر فى باب الحجرة بعد ان غلفه بكيس بلاستيكى يمنع عنه الرطوبة .

فى صبح اليوم التالى وجدوه ممددا فى شقته مقتولا مهشم الرأس . وكل محتويات شقته مبعثرة مقلوبة راسا على عقب بدا الامر سرقة فقد بعثر اللصوص اوراق محفظته اخذوا المال منها. سرقوا اللاب توب .. بحثوا عن شىء لم يجدوه .. ولن يجدوه ..... قلبوا الوسائد والمراتب والادراج فتشوا فى كل مكان .. صنعوا ثقبا فى الجدران .

بعد ايام قليلة كانت طائرة تطير عبر الاطلنطى تحمل مواطنا كنديا يحمل جنسية امريكيه اسمه مصطفى عبد الحميد الداوى ابن الكاتب والاديب عبد الحميد الداوى .الذى يعمل فى منظمة تابعة للامم المتحدة . كان عليهم ان يستقبلوه فى صالة كبار الزوار حين حضر وفد من سفارة دولة اوربية ليستقبلة ايضا .

فى المشرحة تسلم جثة والده وتسلم مفاتيح الشقة . حزن دفين والم اعتصر قلبه واجتاحه من اعلى راسه الى اسفل قدمية ..

فى شقة والده تنقل بذكرياته وبدموعه بين الغرف ثم جلس وحيدا ينظر بهدوء الى تلك الزهور اليانعة التى كان ابيه يعتنى بها فى الشرفه لم تعد يانعة .لقد ذبلت كلها وانثنى عودها لم تبق الا تلك الصبارة صامدة ..! .دقت الباب .. كانت تلك المراة التى تسكن فى غرفة فى سطح البيت العتيق واعتادت ان تنظف الشقة الفسيحة منذ ان كان يعيش مع ابيه وامه فيها . بكت المراة حين رأته سلمت عليه بحب وحنان واحتضنته سالته عن احواله وهل سيبقى ..

جلس فى الشرفة حتى انتهت من عملها ....لقد اعادت كل الاشياء الى مكانها . رتبت المقاعد .. سكبت مياها غزيرة على الارضية وضعت معطرا للارضية كانت تعرف مكانه ف الحمام ..

افرغت علبة البيروسول فى الحجرات الفسيحة .. فى حجرة الاب وعند مكتبه تساقطت بضع ذبابات استقرت احداها بجانب قطعة قماش كانت تستخدم لتنطيف اللاب توب . تعجبت كيف لم ترهذه القماشة . اخدتها فى يدها فهى جيدة لتنظيف المرايا ... نفحها مبلغا ماليا كبيراواعطاها نسخة من مفاتيح الشقة ! ..

حين سافر الى امريكا كان فى حقيبته ذلك الملف الذى اخفاه والده فى المكان الذى لايعرفه الجن الازرق ... لكن يعرفه ابن ابيه وحبيبه وسره .

ومن هناك وعبرالاطلنطى اكمل القلم مقالا بقيت منه سطور قليلة . تراصت الكلمات كامشاط خزانات طلقات الرصاص ، كاصابع الديناميت ، كالاحزمة الناسفة .وبعدها سقط وزير فاسد ومعاونين اشد منه فسادا وتهاوت منظومة كريهة . اسقطها قلم . اجتثتها الكلمات .

زكريا الشافعى

الاسكندرية فى يناير ٢٠٢٥

طقت فى دماغى

.عاد لتوه من المسجد فى نهاية الشارع الطويل الفسيح فى غبشة الصبح .المسير الى ذلك المسجد البعيد فى الفجر متعة لايدركها الا من يحظى بها .فى البيت وماكاد نور الصبح يضىء الدنيا حوله اراد ان يعد قهوته التى اعتاد ان يشربها فى مثل هذه الساعة . اخرج القهوة التى اعتاد ان يضعها فى باب الثلاجة .بحث عن السبرتاية فتش عن ملعقة صغيرة لم يجد الولاعه ..وقف حائرا اين ال.... ! سمع قطرات المطر تنقر على التندة الحديدية فى شباك المطبخ.

ترك كل شىء حين لمعت فى ذهنه كوميض الضوء كشحنة الكهرباء .

استيقظت زوجتة على صوت يزعج هذا السكون الجليل وهو يغير ملابسه ورمقته بعين نصف مغمضة ثم بنظرة اخرى رمقت الساعة فى الموبايل على مخدتها .وكان السؤال "على فين ؟" مغلف بدهشة واضحة.

فى الطريق الى موقف الميكروباص حيته زخات المطر بحفاوة وافترشت الارض امامه المياه التى استقبلتها الارض.

كان اخر من ركب السيارة الواقفة فى انتظار الراكب الاخير لم يسرع الخطا كان فى حوار مع المطر.

فى ذلك المقهى البعيد فى بحرى كان وشخص اخر فقط . ابتسم القهوجى الذى يعرفه من زمن

-قهوتك يااستاذنا !؟ .

-ايوه ياسعيد .

كان صوت فيروز يتردد فى جنبات المقهى حالما خفيضا يداعب صوت الشتاء الذى اشتد كالاوركسترا حين يعلو الايقاع وتصدح الالات النحاسية والطبول.

"طقت فى دماغى" هكذا قال لى حين سألته فى مساء ذلك اليوم على نفس المقهى.

لم ولن الومه فقد كان المجنون الثالث فى شلتنا .فى ذلك المساء كانت الدنيا تبرق وترعد وتمطر مطر غزيزا ثقيلا ترتعد له الطرقات والارصفة وكنا نجلس فى ذلك المقهى ليس ثمة احد غيرنا . يتوارى القهوجى فى الداخل يرمقنا بدهشة ونحن نضحك ملء قلوبنا فى التراس على الرصيف يطوف بنا هواء ثائر مبلل بقطرات المطر .

اذا لم تكن حالما جريئا مجنونا فلن تحظى بمتعة فنجان القهوة فى باكورة الصباح وماءا طهورا سلسبيلا رائقا يهطل من السماء يغسل وجه الدنيا الزائف

.زكريا الشافعى

قصة قصيره جدا

نظر الى زوجتة نظرة ذات مغزى
-احاجة !
-ياحاج وده وقتوا برضو !
لم يكن وقته فقد كان عليها ان تصلى العصر فقد كاد وقته ينقضى .وكان عليها فى يوم اخر ان تعد حلة المحشى وترسلها الى امها فى دمنهور . ولم يكن وقته حين كانت حبات المطر تنقر نوافذ الشقة الفسيحة .ولا فى يوم صيف يتسكع وهجه فى الانحاء .ولاكان وقته حين انتصف الليل وخيم السكون وساد الصمت الجميل ولاوقته حين غنت فيروز وحلقت فى المكان ألحان كنجمات سماء ليلة صافيه.
وحين تأكد الحاج ان الوقت " مش وقته "
تزوج.
تزوج الحاج ممن تركت الظهر والعصر والمغرب والعشاء !..
تزوج ممن ايقظته حتى الفجر .
😅

كذبة بيضاء قصة قصيرة

مايكاد ضجيج مشاحنة او صراخ مشاجرة يعلو هنا او هناك الا تجده فى وسط الحدث يعلو صوته يسكت هذا ويهدىء هذا . بل احيانا يحتد ويشيط غضبا فيصبح طرفا مع هذا ضد هذا .. العرباوى هو الاسم الذى عرفه به الناس ..

والناس فى الشجار مختلفون .. منهم من يؤثر السلامة فلا يتدخل يسرعون الخطى وحالهم ينطق بقولة " مالناش دعوة ... ماينوب المخلص الاتقطيع هدومه ".

والمشاجرات مااكثرها هذه الايام التى ضاق فيها خلق الناس فلايكاد يمر يوم الا وتسمع صياحا وجلبة وضجيجا . سباب ولعن وصوت تحطيم احيانا .

.واخرون على العكس تماما اذا سمع صياح مشاجرة اوعراكا فكأنما دعاه داع لوليمة .. فى تلك العمارة الكبيرة فى اول شارعنا هذا مكتب مأذون الناحية الشيخ "فرحات" وفى نفس الدور يقع ذلك السنتر التعليمى الذى اعتدت ان اعمل فيه . فقد كنت معلما اعطى دروسا خاصة لطلبة الثانوية العامه فى ذلك المعهد .الشيخ فرحات يعقد القران وكذلك يحضر مكتبه البعض ليوقعا على اوراق الطلاق ..كان يتناهى الى اسماعنا احيانا الصوت العالى والشجار الذى يصاحب مثل هذه الاحداث لاثنين قررا ان ينتهى بينهما هذا الرباط .

فى ذلك اليوم وماكدت ادلف الى مدخل العمارة الفسيح حتى لمحته -" العرباوى " -عند اول درجات السلم يمتص دخان اخر انفاس السيجارة قبل ان يلقيها ويدوسها بقدمة . !.

حيانى بادب جم .. تلك التحية التى يمنحنى فيها لقب " باشمهندس " لاادرى كيف وهو يعلم تماما اننى معلم !!

وكالعادة تطوع من نفسه دون ان اساله ليخبرنى عن سبب وجودة فى المكان . كنت اعرف ان تلك طبيعته يبادرك بالخبر وتفاصيله دون ان تسال . .. فاذا القيت عليه تحية الصباح . بادرك بخبر فلان الذى تشاجر بالامس او فلان الذى ترك الشارع ورحل او حتى حدث من فلان لاحدى زبائنه فرقعت المراة بالصوت الحيانى وجاء زوجها فاعطاه علقة قفل على اثرها دكانه فى اليوم التالى .ثمة حكاية دوما ..

حين التقيته فى ذلك المكان حكى لى بأسى عن رجل شاب اعرف اسمه واكاد اسمع صدى صوته فى اذنى ارقده مرض السرطان .. .. لاادرى بالضبط كيف كان هذا الرجل يكسب قوته الا شيئا واحدا عرفته وارتبط اسمه به " وليد بتاع الوصلة " ..انها وصلة غير قانونية لقنوات الدش المشفرة .

تناهى الى سمعى ايضا صوت شجار لم تدع له فرصة لاكمال ماكان يحكيه . حتى دوت صرخة وصوت تحطم زجاج ..

تعالى نطلع نشوف فيه ايه ... ووثب درجات السلم امامى وانسل داخلا الى مكتب الشيخ فرحات .
الحقيقة ان وجودنا كان له اثر فى فض ذلك النزاع الذى وصل الى حد مد الايادى .
ساعة كاملة مرت فى مكتب الشيخ فرحات كان فيها صراخ وزعيق وبكاء وسباب وتحريض وشكوى وكل مايخطر على البال ... انها الحياة بكل مافيها كبد ومشقة وكدر وضجر والتاس بكل مافيهم من عجلة وسخط ورعونة وتقلب وسيلزمك الف الف فضيلة لتعالج هذا وذاك .. يالعناد المرأة ويالرعونة الرجل !
كان الشيخ قبلنا قد قال كل كلام فى الكتاب وفى السنة وكل نصيحة يمكن ان تخطر على قريحة ناصح .. لكن صوته ضاع فى اختلاط الاصوات والتهاب حدة الكلمات حتى اشتعلت النار ..
.وثبة اخرى للداخل وكان العرباوى فى وسط الموقعة ..كان صوته اعلى من الجميع .... ووجهه فى كل الوجوه . وكلمته التى يقولها تسكت الجميع " صلى على النبى " ياعم الحاج باقولك صلى ع النبى " يصر عليها حتى يسمعها .. ومن هنا يبدأ الكلام ..
ايوه كده .. انى عايزك تصلى على النبى ليه .! لن يعطى اجابة فقد ظفر منهم بالسكوت .. لكن كان يمكنك ببساطة ان ترى كل العيون المنحفزة وقد خبا نار الشر فيها .. واتجهت عينى الشيخ الى لوح الزجاج المكسور .. ثم راح وقد وقف بين الفريقين يتلفت لهذا تارة ولذاك تارة .
صمت الكل حين راحوا يستمعون الى قصة طلاق زوجته الاول والذى اقسم باغلظ الايمان انه ماعوضته الايام عنها ولاتزوج خيرا منها ولاعوضته الايام عن ابنته التى فقدها وهى فى سن ذلك الطفل الذى يتشبث بثوب امه !! ...
وكانها زفرة لهيب او شهقة بكاء حين قال "ولانسيتها ولاصفت الحياة بعدها ... " .
ثم التفت الى الزوج يخاطبه كانه يعرفه من زمن
- والله ياحبيبى وكانت زى اى ست ماكانت خالية من عيب "
.رن هاتفى فاسكته على الفور .....
والتفنت الى المراة التى كانت تحتضن طفلا يبكى فزعا .. وراح يقسم باغلظ الايمان على شىء موجها حديثه لاهلها وذلك الشاب الذى تقدح عينيه شررا الجالس بجوارها الذى يمكنك ببساطة ان تدرك انه اخوها للشبه بينهما ..

بدا حينها كأنما الارض وقد وقف بينهم كانما الارض انشقت عنه او أنه هبط من السماء فجاة ..
كيف استطاع ان يصوغ تلك العبارات .. كيف اسكتت كلماته ثورة غضب وكيف طببت الم جراح . كيف ذكرت كلماته بخير ومودة جمعت بينهما . كيف مست كلماته وترا فى داخل كل رجل وامراته .. وامانة الاولاد ... امانة مايصح ان يتخلى الاثنان ولا الاهل عنها

.مست الكلمات القلوب التى قست لحظة وايقظت ذكريات الماضى الذى حجبتها ثورة غضب ومصاعب دنيا رايت رجلا يصافح اخر .. ثم يقبل راسه . رايت الزوجان يبكيان ويتعانقان ...

دموع الفرح لاتملك الا ان تدعها تتسلل سعادة وبهجة على وجه تنيره ضحكة وابتسامة انارت ايضا وجوه الحاضرين الذين كادوا يشتبكون بالايدى منذ قليل.....

كنت اقول فى نفسى ان الخير الذى ينبع فى داخل هذا الرجل ويفيض على من حوله لايقل عن وقفة اى معلم يبذل العلم لطلابه والمستمعين اليه كنت ارى تلك العيون التى تحملق فيه تحمل هما ثقيلا وجرحا يقف هو وحده ليضمده . عيون اكثر احتياجا من تلك التى تنتظر فى القاعة المجاورة لتتلقى درسا فى قواعد ازمنة الماضى والمستقبل ..

....

حين رحت استرجع ماقاله "احمد العرباوى" ادركت ان ثمة كثير من امور لم اكن اعرفها عنه ...

زوجته التى طلقها ... صغيرته التى ماتت فى حادثة .... تجارته الناجحة التى كسدت

....

فى يوم مشمس من صباحات شتاء دفىء قابلته فحيانى بود ولم يفته بالطبع ان يحكى لى شيئا عن هذا وذاك .. فبدا لى حينها ان اساله سؤالا عن ذلك اليوم ...

فضحك ضحكة مجلجلة ادهشتنى !!

والله ياستاذ انا عمرى ماتجوزت الا ام محمود دى اللى معايا ... اللى انا قلته يومها كانت احلى كدبه ..

لكنه سكت فجأة ونظر حوله ليرد السلام على رجل يحمل طفلا ويمسك اخر بيده وهو يبتسم :

وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته .. عارف ده مين ياباشمهندز !؟

.....

زكريا الشافعى

ذات شجار فى شارعنا

صدق اولا تصدق !

اوصلت ابنتى الصغرى لمدرستها .كانت امتحانات نص العام .وكان على ان انتظر لساعة ونصف ريثما تنتهى فاعود بها للبيت فكنت اتوجة الى تلك الكافيتريا على على طريق شاطىء البحر القريب .اطلب فنجان قهوة واظل ارقب السيارات التى تمرق على كلا الجانبين مسرعة او ان اعبث بتليفونى المحمول وامتع عينى بتلك الزرقة الصافية اللامتناهية وذلك التلاقى والتناغم بين السماء والبحر . فى احدى المرات بدا لى ان اجلس على مقاعد تلك الكافيتريا على البحر مباشرة . على رمال الشاطىء مباشرة بضع مقاعد لمقهى صغير لايفصلك عن البحر سوى شريط ضيق من رمال صفراء وحجارة خشنه.

طلبت قهوة فجائتنى بعد وقت طويل . لم اهتم فى الحقيقة فقد كنت امضى الوقت !

كانت بضع مقاعد ويبدو انه ليس ثمة احد غيرى فلم يكن هنالك احد يجلس فيها ..

فى استغراقى التام وانا اقلب صفحات شاشة المحمول وفى اجواء ترف فيها نسمات دافئة فى يوم خلع عباءة الشتاء .كان ظلا قد مر بى فحجب ضوء الشمس التى تربت على ظهرى ...

كانت امراة عجوز حسبتها فى بادىء الامر تتسول . لكن هالنى كم التجاعيد على وجه اميز مافيه عين ووشم . طرحة سواء تغطى نصف وجهها وتترك فرجة لعين واحدة .تدهشنى التفاصيل الصغيرة.. تأخذنى .هذا الخلخال الفضى العتيق فى احدى قدميها وتلك التغاضين فى وجهها كأنها امرأة اتت من زمن بعيد. ذلك الوشم الذى يذكرنى بجدتى لكنه كثير..

أهى غجرية؟ !

تبسمت فى داخلى .اعرف انهم يحترفون المهنة ويكملون بملابسهم والفاظهم صورة يتسللون بها الى عقول الناس .

-اقرا لك الفنجان يابيه !؟

-لا..

-طيب اشوفلك البخت!..

-كدت اقول بخت اية ياولية لرجل تجاوز الستين) لكنى اكتفيت بابتسامه وكلمة لا شكرا انا عارف بختى.

لكن المراة لم تيأس ..صمتت لحظة ثم طلبت كوب الماء الذى امامى وكنت قد شربت قليلا منه ..

شربته دفعة واحدة ومسحت فمها بكم جلبابها الاسود.

ثم نظرت الى وقالت.
-"وشفيعك يوم الدين لقراك طالعك وذا ماعجبك ماتدفع شى .انا ماارید جروشك اذا ماترض"
. لقد سمعت ماقالت جيدا وفهمت . ولولا معرفتى للهجات كثيرة لما فهمت.
"تسول مشروع " ".الناس فى ضنك " ".اكل العيش مر " .مايضيرك هى صدقة ..ساعتبرها هكذا" دار ببالى كل هذا وطاوعت نفسى . اعرف ان كل ماستقوله كذب .
كدت اقول لها وانا ابتسم ساخرا " اجلسى ياامراة واكذبينى القول ..
تحسست جيب قميصى كنت قد وضعدت فيه بضع اوراق مالية صغيرة .قررت ان عشرة جنيهات هى اقصى ماساعطيها وهاهى ذى اخرجتها وضممت كفى عليها. .. "
...
..اعرف الحيلة ..
ضحكت حين اعطتنى تلك المحارة الغيرة وقالت " وشوش الودع " ..
قالت : انت ... قلت لها لاجديد اعرف ولاعجب .
قالت : لك حبيب فى ... قلت لها اعرف ولااتعجب.
قالت : سيأتيك ... قلت لها غيب لاتملكية ولااعرفه.
وضعت فى يدها الورقة واعتدلت . القيت بصرى على الافق البعيد وشربت اخر قطرة فى فنجانى فلملمت صدفاتها ونفضت الرمال عن ثوبها وقالت كانها تودع مسافرا:
"قهوتك باعتك لاتشترى فيها وبيتك الى بنيته وش القهو ليها .... وعى وشك "..
-ماذا !؟ ..لكنها سارت وابتعدت..
...فى اليوم التالى .كنت اتحدث مع الصبى الذى احضر لى القهوة من غير وش سألته عن المرأة العجوز فقال لى.
-مافيش حد كده بيجى هنا خالص !
.....
سبعة ايام مرت ... احدى عشر مرة شربت قهوة .. لم يكن لأى منها وش !!

!!.

زكريا الشافعى
اسكندرية يناير ٢٠٢٥